الأوضاع السياسيّة للوطن العربي
في ظل الإدارة العثمانيّة

تكلمنا في المرة السابقة عن سيطرة العثمانيين على الوطن العربي ولم يبقَ خارجاً عن نفوذهم سوى المغرب الأقصى، والأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية وأقصد هنا سلطنة عُمان ووادي حضرموت والربع الخالي (الصحراء). تعرفون أن العرب لم يقفوا من السيطرة العثمانية موقف المعادي أو المؤيد وذلك طمعاً بالإجراءات التي ستطبق على مناطقهم وبالتالي تعود عليهم بالفائدة. كمثل تعين ولاة عرب على مناطقهم تابعين للإدارة العثمانية ولكن العثمانيين بأساليبهم البدائية والمكتسبة من النظم الفارسية والبيزنطية عينوا عليهم ولاة من أصل رومي نتاج نظام الدفشرمة، حيث قام هؤلاء الولاة بتطبيق النظم العثمانية دون مراعاة للأوضاع الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك في المنطقة.

وزاد اشمئزاز العرب من وطأة الحكم العثماني عندما عمدوا على ضرب الأسر المتنفذة ببعضها البعض وذلك حفاظاً على سيطرتهم وسيادتهم على المنطقة متناسين أن إمبراطوريتهم تضم خليطاً بشرياً متناقضاً، وقوى اجتماعية بنيتها الداخلية ضعيفة, وقوميات متعددة وإن خضعت لسيادتهم إلا أنها تتطلع إلى الاستقلال والانفصال عن جسد الدولة العثمانية وهذا ما حصل بالفعل على الجانب الأوروبي فيما بعد. وبالتالي فإن عدم مراعاة سلاطين بني عثمان للتناقض القومي في إمبراطوريتهم ، أدى إلى تسلل النفوذ الأوروبي إلى كيان الدولة الداخلي من خلال هذا التناقض القومي. فتظاهرت تلك الدول الأوروبية في البداية بأنها متعاطفة مع تلك القوى الاجتماعية المتعددة القوميات.

وفي الباطن سعت إلى تحريرها من النفوذ العثماني وذلك من خلال: تعميق الفتن الداخلية داخل السلطنة بحجة إقامة نوع من التوازن بين القوى المحافظة على السلطنة والقوى الطامعة بها, وخصوصاً عندما بدأت تنشأ المسألة الشرقية (تدخل الدول الأوروبية بشؤون السلطنة) وبالتالي فإن المحافظة على أملاك السلطنة مرتبط بالظروف فكلما سمحت لهم الفرصة يقتطعون أجزاء من أملاكها وخلال فترة القرن التاسع عشر كثرة الامتيازات الأجنبية حتى أصبحت في أواخر عهدها شبه مستعمرة من قبل الدول الأوروبية.

وبالتالي فإن الضعف والترهل الذي آلت إليه دولة آل عثمان كان سببه خلال القرن التاسع عشر:

أ . فساد الجيش الانكشاري الذي أصبح نقمة على الدولة.

ب . غياب السلاطين عن قيادة الجيوش وترك الإدارة لقوى غريبة متصارعة همها الوحيد كسب أكبر قدر من المال والثروة ولو كان ذلك على حساب انهيار الدولة.

ج . نقص الواردات الاقتصادية بسبب الكشوفات الجغرافية وتحول طرق التجارة العالمية عبر

رأس الرجاء الصالح الذي أثر على المنطقة ككل.

د . تضخم النقد نتيجة لخوض حروب جانبية متمثلة بالقضاء على الثورات الداخلية التي قامت ضد الحكم العثماني وسيطرته على المنطقة وخلط معادن رخيصة للعملة أدى انهيارها

هـ- عدم تطوير النظم الرعوية التي اعتمدوها في حكمهم واتسام تلك الأنظمة بالرجعية وعدم التجديد.

كل هذه الأسباب والأمور السابقة الذكر أسهمت في خلق احتجاجات على الواقع المعاش. **فأول تمرد أعلن على السلطنة العثمانية هم العساكر** (أواخر القرن السادس عشر في مصر وبلاد الشام أيضاً) ثم انتقل إلى فئة **الأمراء المحليين** (الأمير فخر الدين المعني الثاني والأمير ضاهر العمر في فلسطين).

أيضاً تصاعد نفوذ بعض الأسر المحلية كمثل أسرة **آل العظم** في القرن الثامن عشر حيث أدى تغلغل الأهالي في صفوف العسكر (الانكشاري) إلى إنتاج فئة **(اليرليه) الجيش المحلي** الذي أخذ يدافع عن مصالح الأهالي ضد فئة العسكر النظامية (القابي قول) التي كانت ترفد إلى دمشق بين الحين والآخر وذلك لاستتباب الأمن وحماية قافلة الحج الشامي الذين كانوا يرافقون القافلة خوفاً من تعرضها لهجمات البدو.

ومهما يكن من أمر فإن ازدياد انكسارات الدولة العثمانية أمام الروس وخصوصاً الحرب الروسية العثمانية ما بين ١٧٦٩ – ١٧٧٤م والتي انتهت إلى توقيع معاهدة **قينارجه ١٧٧٤م والتي كانت لصالح الروس وأهم بنودها:**

١. تم استقلال إقليم القرم وإخضاعه للدولة الروسية.

٢. وأيضاً وضعت هذه المعاهدة حداً للسيطرة العثمانية على البحر الأسود.

٣. أعطت هذه المعاهدة لروسيا التحدث باسم الأرثوذكس المتواجدين داخل أراضي السلطنة ومنذ ذلك التاريخ كان مولد ما يسمى (المسألة الشرقية), لأن المسألة الشرقية كتعريف هي تدخل الدول الأوروبية بشكل سافر في شؤون السلطنة وذلك بهدف الاستيلاء على أملاكها.

وقد طبقت الدولة العثمانية نظام الحكم في البلاد العربية الخاضعة لسيطرتها وفقاً للتالي:

- ـ قسمت البلاد العربية إلى عدد من **الولايات (الإيالات)**, **السناجق (الألوية)**, الأقضية, النواحي, القرى. وبلغ عدد الولايات في المنطقة العربية ما يقارب إلى ١٧ ولاية.
- . في العراق: أربع ولايات: بغداد . البصرة . الموصل . شهرروز.
- في بلاد الشام: خمس ولايات: الشام . طرابلس . حلب . صيدا . الرقة (أورفه).
- الشمال الإفريقي: ولاية مصر، طرابلس الغرب . تونس . الجزائر . ولاية الحبش (وتضم ما يسمى أريتريا وجزءاً من شمال الصومال).
- . في شبه الجزيرة العربية: ثلاث ولايات: شرافة مكة المكرمة . اليمن . الإحساء. ولكن اليمن خرجت من السيطرة العثمانية عام ١٦٣٥م.

ولكن نظام الحكم في معظم الولايات العربية قائم على فلسفة سياسية مفادها عدم الثقة والشك في ممثلي السلطنة؛ لذا بادرت السلطنة إلى تغير الولاة بشكل مستمر رغم إحاطتهم بجواسيس (الدفتردار) وقاضي القضاة، وذلك خوفاً من عصيانهم وتمردهم وانفصالهم عن السلطنة بعد ترسيخ أقدامهم في الولاية التي يتولونها، وخصوصاً في أواخر القرن السادس عشر، عندما تفشى بيع الوظائف وانتشرت الفوضى في البلاد العثمانية. ورغم ذلك كان هذا التبديل للولاة له تأثير على المنطقة العربية حيث خلق نوعاً من البلبلة من الأهالي ضد ولاة السلطنة لأن الولاة الذين اشتروا مناصبهم بالمال كان يترتب عليهم تعويض ذلك بفرض الضرائب على الأهالي وتحصيلها بالقوة وهذا أسفر عنه إلحاق الضرر بالحياة الاجتماعية والاقتصادية للسكان الأصليين (العرب).

وعلى الرغم من كل الاحتياطات الإدارية التي اتخذتها الدولة العثمانية لتمنح الاستقرار بالبلاد التي سيطرت عليها ولتمنع حركات التمرد والثورة على حكمها في البلاد العربية إلا أنها لم تستطع إيقاف هذه الحركات التي أعلنت العصيان والتمرد على السلطنة العثمانية خلال فترة القرون الأولى (السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر). فالتاريخ العثماني الذي يخص البلاد العربية زاخر بمجموعة من الصراعات الداخلية التي كان هدفها الوصول إلى السلطة والاستقلال الذاتي وتحقيق مكاسب مادية, **ومن هذه الصراعات والتمردات التي أعلنت العصيان:**

١. الصراع بين الولاة والسلطنة.

٢. تسلط الحاميات العسكرية ومحاولتها القبض على السلطة.

٣. الصراعات بين الأمراء المحليين الذين أبقتهم الدولة على مناطقهم مقابل الاعتراف بالسلطنة وتقديم الطاعة والولاء للدولة العثمانية.

٤. الصراع بين العساكر القديمة (التي غدت محلية بفضل الزواج مع الأهالي فأنتج (اليرليه) ومع الانكشارية (العسكر الجديدة) القابي قول التي كانت السلطنة تبعث بهم لتدعم سلطة الوالي وتقر الأمن وتأمين سلامة قافلة الحج.

٥. الصراع بين البدو وسكان الأرياف وهجوم البدو المستمر على قوافل الحج من أجل فرض الأتاوات, فضلاً عن ذلك كانت قوافل التجارة تتعرض لمثل هذه الأتاوات التي يفرضها البدو على قوافل التجارة, وما إن أتى القرن الثامن عشر حتى حققت بعض المناطق العربية نوعاً من الحكم الذاتي.

<u>الوضع السياسي لكل منطقة عربية خاضعة للحكم العثماني:</u>

<u>أولاً– العراق:</u>

قسم العراق إلى أربع ولايات هي: بغداد . البصرة . الموصل . شهرروز في شمال العراق. وقد تعرضت العراق للاحتلال الصفوي عام ١٦٢٣م بسبب قيام ثورة قادها بكر الصوباشي الذي نال تأييد الصفويين وإن السلطان مراد الرابع الذي حكم بين ١٦٢٣ – ١٦٤٥م استطاع أن يستعيد العراق من السيطرة الصفوية. ورغم ذلك فإن الأوضاع في العراق لم تستقر إذ عاد من جديد

الانكشارية إلى التسلط ووقع الصراع بينهم وبين العساكر المحلية وشغل هذا الصراع طيلة ما تبقى من القرن السابع عشر.

فضلاً عن ذلك فإن تحركات القبائل العربية وغزوها المستمر لمراكز تواجد العثمانيين في الجنوب، أخذ يلعب دوره وأيضاً القبائل البدوية الكردية في الشمال في ولاية شهر زور. وهذه المشاكل الناتجة عن تحركات القبائل دفعت الدولة العثمانية في مطلع القرن الثامن عشر على إبقاء الوالي حسن باشا والياً على العراق لمدة طويلة استمرت لمدة عشرين عاماً من ١٧٠٤ حتى ١٧٢٣م.

فاستطاع هذا الوالي خلال فترة حكمه أن يوطد الأمور ويلاحق المتمردين, حتى إن الدولة العثمانية سمحت له ببناء وإنشاء قوة عسكرية من مماليك جورجيا أي من جنسه (لأنه من المماليك).

لذا فاستطاع هو وابنه أحمد ومن أتى من بعده **كالوالي سليمان باشا المكنى بأبي ليلى** في عام ١٧٤٩م، **وسليمان باشا الكبير ١٨٠٢م** ثم الوالي **دواود باشا** حيث كان هذا الأخير الذي حكم ما بين ١٨١٤ – ١٨٣١ من أشهر ولاة المماليك في العراق. وبسبب ازدياد نفوذه أرسلت الدولة العثمانية جيشاً للقضاء عليه برئاسة **صادق باشا**, لكن الوالي داود باشا استطاع التغلب عليه فكلف السلطان محمود الثاني والي حلب علي رضى باشا الذي استطاع أن يقضي على حكم داود باشا بعد حصار دام حوالي ٩٠ يوماً وأعاد السيطرة العثمانية على العراق **قبل أن يضم الوالي محمد علي باشا الذي ازداد نفوذه لبلاد الشام بعام واحد على يد ابنه إبراهيم باشا.** ثم كلفه السلطان محمود الثاني باستعادة الموصل من أسرة **آل الجليلي** التي سيطرت على الموصل ما بين ١٧٢٦ – ١٨٣٤م. وبهذا الشكل عاد العراق بسائر ولاياته إلى السيطرة العثمانية المباشرة.

<u>ثانياً بلاد الشام:</u>

لقد قسم بلاد الشام إلى ثلاث ولايات هي:

أ. ولاية دمشق.

ب . ولاية طرابلس.

ج . ولاية حلب ثم تم تأسيس ولاية صيدا في بيروت بعد القضاء على حركة فخر الدين المعني الثاني ١٦٣٥م على يد السلطان مراد الرابع وذلك بسبب ازدياد نفوذه, وبعد تاسيس ولاية صيدا ازدادت قبضة السلطنة على لبنان.

الحركات الانفصالية:

١. أول هذه الحركات كانت حركة **جان بردي الغزالي ١٥٢٠م** واستقلاله ببلاد الشام إلا أن السلطنة العثمانية قمعت حركته بشدة.

٢. في مطلع القرن السابع عشر: قامت **ثورة الأمير فخر الدين المعني الثاني** ١٥٨٥ – ١٦٣٥ م **وشاركه في الثورة الأمير (علي جنبلاط)** الذي كان حاكماً على كلس, فاستطاع هؤلاء أن يكونا قوة عسكرية أقلقت الدولة العثمانية.

- **الأمير فخر الدين المعني الثاني:** أنشأ دولة حديثة وعقد المعاهدات مع الدول الأوروبية

وعندما هاجمته الدولة العثمانية **هرب إلى فلورنسة** وبقي فيها خمس سنوات. وعندما عاد إلى لبنان تابع حركته ولكن الدولة العثمانية تمكنت من القضاء عليه وأقامت الدولة ولاية صيدا. وبعد القضاء على هذه الحركة انتقلت السلطة من المعنيين إلى **أسرة الشهابيين** ١٦٩٧ – ١٨٤١م.

٣. في النصف الثاني من القرن الثامن عشر شهدت منطقة فلسطين (الجليل) حركة قادها **الشيخ ضاهر العمر** من قبيلة الزيدانية ضد الدولة العثمانية, فقد كوّن جيشاً من المغاربة فضلاً عن ذلك أصلح ميناء عكا الذي توافد عليه الكثير من السفن الأجنبية. لم يكتفِ بذلك بل اتفق مع **علي بك الكبير** الذي انتفض بدوره ضد السلطنة العثمانية مستغلين انشغال الدولة العثمانية بالحرب مع روسيا ١٧٧٠ – ١٧٧٤م وذلك لاحتلال بلاد الشام, ودخلت روسيا إلى جانبهما إلا أن ثورته أخفقت وتمكنت الدولة العثمانية من القضاء عليه عام ١٧٧٥م كما أن علي بك الكبير ١٧٦٩ – ١٧٧٤م قد هزم على يد مملوكه "محمد أبو الذهب" وذلك بعد الاتفاق الذي أجرته الدولة العثمانية مع الروس (قيتازجة ١٧٧٤م) وشراء محمد أبو الذهب (أي يحل محله في حال القضاء عليه).

٤. وهناك أيضاً بعض الحركات التي قادها أمراء محليون قد اتخذت طابع الحرب والعنف ومنها **(أسرة آل العظم)** حيث تولّوا ولايات دمشق وصيدا, وطرابلس ١٧٢٥ – ١٧٣٠م. فبرز من هذه الأسر (الوالي **أسعد باشا العظم** . الذي حكم ١٧٤٣ – ١٧٥٧ م ولاية دمشق فازدهرت دمشق في عهده وأيضاً تم توليته على حلب, ولكن السلطات العثمانية خشيت من ازدياد نفوذه, فتمكنت من قتله ١٧٥٨م.

٥. في أواخر القرن الثامن عشر وبعد القضاء على حركة ضاهر العمر برزت في جنوبي بلاد الشام شخصية معروفة (هي شخصية **أحمد الجزار** وهو بشناقي الأصل من مماليك علي بك الكبير). لقد أبلى بلاءاً حسناً في مقاومة ضاهر العمر، فكافأته الدولة العثمانية بولاية صيدا فاتخذ عكا مركزاً له. لقد عامل الأهالي بقسوة وأرهقهم بالضرائب واحتكر المحاصيل ودخل في صراع مع أمير لبنان **يوسف الشهابي** عندما هاجم نابليون بونابرت بلاد الشام وحاصر عكا ١٧٩٩ ولكنه لم يستطع دخولها بسبب مقاومة أحمد الجزار وأهلها ومساعدة الأسطول الانكليزي وبعد فشل نابليون اشتهر أحمد الجزار وأعطته الدولة العثمانية ولاية صيدا لثلاث فترات حتى أنه سيطر على دمشق . وتوفي عام ١٨٠٢م.

٦. حركة **بشير الثاني الشهابي** الذي كان يطمح في إيجاد حكم مركزي في لبنان وبعد وفاة أحمد الجزار تقرب من الدولة العثمانية وساعدها في صد هجوم وهابي على منطقة حوران، ووقف إلى جانبها أثناء حملة نابليون بونابرت على بلاد الشام. ولطموحه في حكم لبنان قضى على النظام الإقطاعي ومد سيطرته على سهل البقاع ولم يكتفِ بذلك بل قام بتشجيع الدورز والموارنة بالهجرة من منطقة حلب إلى لبنان ولكن شدته في جمع الضرائب أدى إلى اندلاع ثورة الفلاحين عليه عام ١٨٢٠م وهذا أدى إلى اصطدامه مع الدولة العثمانية فهرب إلى محمد علي والي مصر عام ١٨٢١م وبعد الوساطة من قبل محمد علي أعاده إلى حكمه في لبنان ١٨٢٢م. وبعد ذلك اتبع

سياسة استقلالية وتحالف مع الوالي محمد علي ضد السلطنة العثمانية وأثناء حملة إبراهيم باشا ابن محمد علي على بلاد الشام، وقف إلى جانبه طمعاً في استقلالية لبنان, ولكن الأمور تغيرت بعد خروج محمد علي من بلاد الشام عام ١٨٤٠م استغلت الدولة العثمانية ذلك فعملت على انتهاء حكمه فقضت على إمارة الشهابين كلياً عام ١٨٤٢م وتكوين قائم مقامية درزية وقائم مقامية مسيحية تابعة لوالي صيدا, وهذا أدى بدوره الى حصول فتنة لبنان وتدخل الدول الأوروبية وإنشاء متصرفية جبل لبنان فيما بعد (١٨٦٠م).

٧. ومن الصراعات التي أثرت بشكل مباشر على أهل الشام **(صراعات الانكشارية)**

منذ أواخر القرن السادس عشر شرع الانكشارية يظهرون أنفسهم كأكبر قوة في ولاية دمشق وحلب, ويسعون للتسلط على الحكم والأهالي ويبتزون الأموال ويرهبون الأرياف لكن تركهم للعمل العسكري وتغلغلهم مع الأهالي أدى إلى إنتاج فئة **اليرلية (المحلية)** كما قلنا وهو أشبه بحزب سياسي له مطامعه بالحكم، فأخذت هذه الفئة تدافع عن مصالح الأهالي ضد الولاة والسلطنة فوقع الصراع بينهم وبين القوات العسكرية (القابي قول) الذين كانوا يرسلون من قبل العاصمة استانبول للحفاظ على الأمن, وهذه الصراعات أثرت بشكل مباشر على الأهالي. في حلب اشتد النزاع والصراع بين الانكشارية والأشراف الذين كانوا يتمتعون بامتيازات خاصة بهم فضلاً عن الوظائف الموكلة لهم, ولهم نقيب مسؤول عنهم أمام السلطنة (نقيب الأشراف) لذا نراهم تبنوا مهمة الدفاع عن الأهالي. استمر هذا الوضع حتى استطاع السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ – ١٨٣٩م) من القضاء على الجيش الانكشاري عام ١٨٢٦م وسميت هذه الواقعة بالواقعة الخيرية.

٨. وأيضاً يجب أن لا ننسى الغزوات والهجمات التي شنتها القبائل البدوية على طرق التجارة وقافلة الحج الشامي والمصري والعراقي وتعديها على سكان الأرياف.

ثالثاً: شبه الجزيرة العربية:

أ) . الحجاز:

شكّل الحجاز ولاية مستقلة، وانفرد دون سائر الولايات العثمانية بعدة امتيازات لأن هذه الولاية تضم الأماكن المقدسة (مكة المكرمة . المدينة المنورة) وأهم هذه الامتيازات :

- عدم تقديم أي مال إلى الخزينة العثمانية بل على العكس كان يرسل إليها كل عام (الصرة) وهي اعتمادات مالية ضخمة من الولايات (حصيلة الأوقاف المخصصة للحرمين الشريفين وفقراء مكة والمدينة، من ولاية مصر، وأيضاً من الولايات العثمانية الأخرى).
- كان سكان ولاية الحجاز معفيين من جميع الضرائب الشخصية والعقارية ما عدا ما يفرضه الأشراف على الأغنام وما يقرونه ويفرضونه على الحجاج وقوافلهم.
- خصصت ولاية الحجاز بنظام خاص (الشرافة) أي أن يحكمها أحد الأشراف من **السلالة الإدريسية الحسينية** وتمكن آل بركات الاستمرار بالشرافة حتى النصف الأول من القرن الثامن

عشر.

- تسابق سلاطين بني عثمان للاهتمام بها وتأمين ما يلزمها من مواد غذائية.

كان مركز الشريف "مكة المكرمة" ويعد الحاكم الفعلي ومن مهامه:

١- تأمين سلامة قوافل الحج . دمشق . القاهرة . العراق . اليمن . وكان له نفوذ على القبائل والمراكز التي أنشأتها الدولة العثمانية على طول خط القوافل (الحج ، التجارية) التي لها علاقة تجارية مع ولاية الحجاز. وبالرغم من ذلك فإن الدولة العثمانية لم تترك الحجاز يستقل بنفوذه بل أوجدت فيما بعد إلى جانب الشريف **سنجق (لواء جدة) وعينت عليه والياً**، ثم احتفظت بحامية عسكرية في مركز مكة المكرمة والمدينة وحاميات أخرى لحماية القوافل التجارية وقوافل الحج. لم تكتف السلطنة بذلك بل قسمت الرسوم الجمركية بين الوالي العثماني وشريف مكة. وأيضاً كان مهام تعين القاضي منوطة بالسلطنة العثمانية حيث يبعث به من القسطنطينية (استانبول) وأيضاً المحتسب.

وأهم الصراعات التي حدثت في ولاية الحجاز المستقلة:

١. الصراع بين الأشراف على منصب الشرافة وكثيراً ما يتدخل في هذا الصراع قوى خارجية ممثلة بالولاة كمثل والي دمشق ، واليمن ومصر, حتى السلطة المركزية الموجودة في جدة كانت تتدخل لصالح أحد الأشراف. **في عام ١٧٧٠م تدخل علي بك الكبير لصالح الشريف عبد الله في الوصول إلى الشرافة,** وكان الهدف من هذا التدخل (سياسي . ديني . واقتصادي) ظل هذا الأمر حتى زالت الدولة السعودية الأولى السيادة العثمانية واستولت على الحجاز.

٢. الصراع بين الأشراف وولاة جدة فكان التنافس بينهم على السلطة فضلاً عن ذلك النزاع على نصيب كل فريق من واردات الرسوم الجمركية.

٣. محاولة الأشراف السيطرة على نجد حيث كانوا يصدون هجمات البدو ضد القرى والمدن النجدية منذ أواخر القرن السابع عشر حتى منتصف القرن الثامن عشر. ولكن ظهور الحركة الوهابية في نجد كانت عاملاً هاماً في إضعاف تدخلهم في نجد في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

نسبت الدعوة الوهابية إلى محمد بن عبد الوهاب ١٧٠٣ – ١٧٩٢م وهو ابن قاضي العينية، وقد جمع بين المذهب الحنبلي وآراء ابن تيمية. لقد تبنى دعوته أل سعود وقرروا أن ينشروا دعوته ولو بالقوة (لأن الدعوة في البداية كانت دعوة تحث المسلمين على الرجوع إلى الأصول الأولى للدين الإسلامي وتخليصه من البدع والعادات الدخيلة). في عام ١٧٦٥- ١٧٨٥م هاجموا كل المدن المجاورة, وفي عام ١٨٠٢م هاجموا الأماكن المقدسة في كربلاء، وفي ١٨٠٣م هاجموا مكة وهدموا القباب والمشاهد على القبور وتم نهب كافة الكنوز الموجودة, حتى إن شريف مكة (الشريف غالب) اتفق معهم على حكم مكة ولكن باسمهم. وبعد سيطرة الوهابين (السعوديين الموالين للحركة) التي تحولت إلى حركة سياسية، وتهديد طرق التجارة وطرق قوافل الحجيج، ومنع المحامل من الدخول

إلى الديار المقدسة كل ذلك أشعر الدولة العثمانية بالخطر وضياع هيبتها الدينية (لأن العثمانيين دخلوا المنطقة العربية باسم الدين وحماية الأماكن المقدسة). لذا كلف والي دمشق لمحاربتهم عندما هاجموا أطراف الشام (حوران) ١٨١٠م لم يستطع أن يوقفهم, لذا كلفت واليها محمد علي باشا للقضاء على هذه الحركة وبالفعل استطاع محمد علي باشا من دخول **عاصمتهم الدرعية** وإجبار عبد الله بن سعود على الاستسلام, وبعد ذلك أرسل إلى الأستانة وهناك أعدم. وبعد اتفاقية لندن ١٨٤٠م أُجبر محمد علي على سحب قواته من بلاد الشام والحجاز، فعادت الحجاز إلى مركزية السلطنة العثمانية وذلك لأهميتها الدينية فأصبح الأشراف يعينون ويعزلون حسب أوامر **الباب العالي** وتم وضع حاميات عثمانية في كافة المناطق الحجازية (مكة . المدينة ، الطائف . جدة).

ب). عُمان:

لم تدخل عُمان في ظل السيطرة العثمانية, وبسبب انتشار المذهب الخارجي الإباضي فيها منذ العهد الأموي وتكونت دولة إباضية في عُمان منذ القرن الثامن للميلاد. في الفترة الحديثة: أي عام ١٦٢٤م انتخب الإباضيون ناصر بن مرشد من قبيلة اليعاربة إماماً لهم, فوحد عُمان وشرع بالجهاد ضد البرتغاليين. ونجح اليعاربة في طرد البرتغاليين في عام ١٦٥٠ م وبعد ذلك بنى اليعاربة أسطولاً وشنوا هجمات جهادية خارج عمان على مراكز البرتغاليين في الهند وشرقي إفريقيا وعندما ضعف حكم الصفويين شرع (العمانيون) يغيرون على الشواطئ الإيرانية في عام ١٧١٧م ضموا البحرين، لكن الإيرانيين في عهد نادر شاه استطاعوا دخول عُمان عام ١٧٣٧م ولكن موت نادر شاه وظهور إماماً جديداً هو أحمد بن سعيد الذي تنتسب إليه الأسرة الحاكمة في مسقط وزنجيبار وامتداد حكمهم ١٧٤٤ – ١٧٨٣م. حيث تميز عهد الإمام أحمد بن سعيد بالقوة فأقام علاقات طيبة مع العثمانيين في البصرة فسيطر على بندر عباس وبقيت الأسرة السعدية مؤيدة حتى عام ١٨٦٨م. وخصوصاً في عهد سعيد بن سلطان الذي حكم حتى عام ١٨٥٦م ولكن بعد وفاته تدخلت إنكلترا بالصراع الدائر بين ولديه عام ١٨٥٦م والذي انتهى بانقسام السلطنة العمانية فيما بينهم فسارت مسقط في طريق وزنجيبار في طريق آخر.

ج). اليمن:

قلنا سابقاً إن اليمن تم السيطرة عليها عام ١٥٧٤ م على يد الوالي سنان باشا. لكن الزيديين الذين تحصنوا في الجبال لم يستكينوا للعثمانيين بقيادة إمامهم (القاسم بن محمد ١٥٩٧ – ١٦٢٠م), فاضطر العثمانيين أن يعقدوا اتفاقاً اعترفوا بموجبه للزيديين بسيادتهم على المناطق الجبلية لكن عندما استلم الإمام محمد بن القاسم ١٦٢٠ – ١٦٤٦ عادت الحرب الزيدية ضد العثمانيين فسقطت صنعاء ١٦٢٨ بيد الزيديين فاضطر الأتراك العثمانيون للخروج من اليمن عام ١٦٣٥م لذا تعد اليمن أول بلد عربي يظفر باستقلاله عن السيطرة العثمانية.

رابعاً: المغرب العربي:

لم تعرف مناطق المغرب العربي الاستقرار والهدوء طوال تاريخها الطويل منذ أقدم العصور حتى خضوعها للإدارة العثمانية. **خلال الفترة العثمانية اتسمت المنطقة بالعنف على الصعيدين الداخلي والخارجي:**

أ- **على الصعيد الداخلي:** شهدت مناطقه (الجزائر وتونس وليبيا) اضطراباً عارماً في أوضاعه بسبب ظلم الانكشارية واستئثارهم بخيرات البلاد وتسخيرها لطاقاته وإمكانياته المتوفرة على أرضه. فعلى الرغم من ضعفها وإهمالها وصراعاتها فإن القوات العثمانية المكلفة بإدارة الأوجاقات الثلاث (الجزائر، تونس . ليبيا) تجاوزت الحد المألوف من حيث التفرقة ما بين سكانه وتصرفت بأرضه وشعبه كأنه ملك خاص لها، مادام السلطان العثماني راضياً عنها.

ب . **أما من الناحية الخارجية:** فقد تصدت القوات العثمانية للقوات الإسبانية وأطماعها وسعت جاهدة لطردهم من المنطقة وقد تمكنت من ذلك فاستغلت ذلك لصالحها الشخصي وتناست أن الأهالي شاركوها في النصر الذي تحقق، وعلى الرغم من تجاوزات الانكشارية فقد ظل السكان يثمنون الجهود التي بذلته الانكشارية من أجل حمايتهم من القهر والتشريد والأهم من التنصير على يد الإسبان .

تشابهت أوضاع أقطار المغرب العربي الثلاثة في ظل الإدارة العثمانية إلى حد كبير. وبفضل آل بربروسا خضعت للسيطرة العثمانية وغدت تابعة لها. ولتوطيد نفوذ بربروسا وإدارة البلاد أرسلت الانكشارية لمساعدته على إدارة البلاد وطرد الإسبان وأيضاً جعل التنافس الدائر أكان على الساحة الجزائرية أو التونسية أو الليبية؛ **تلك الولايات عرّضة لعدة مراحل إدارية: مثلاً:**

١. الجزائر: مرت بأربع مراحل إدارية:

أ. **مرحلة البكلربكي** (١٥١٨– ١٥٧٨): اتصف هذا العهد بالصفة العسكرية والهدوء والاستقرار.

ب . **مرحلة الباشوات** (١٥٧٨ – ١٦٥٩): اتصف هذا العهد بالصفة المدنية لأن أغلب الباشوات كانوا مدنيين، ولكنه اتصف بالضعف وتدخل العسكر وإتباع الظلم.

ج . **مرحلة الأغوات** (١٦٥٩ – ١٦٧١م): زاد خلال هذه المرحلة الشغب الانكشاري والفوضى والذعر داخل الولاية.

د . **مرحلة الدايات:** (١٦٧١ – ١٨٣٠م): ظل التسلط العسكري خلال هذه الفترة هو الموجه الرئيسي لإدارة الولاية, فبقوا في الولاية حتى السيطرة الفرنسية على الجزائر عام ١٨٣٠م.

٢. تونس أيضاً مرت بأربع فترات (مراحل) إدارية:

أ. **الباشوات:** (١٥٧٤ – ١٥٩٠ م).

ب . **عهد الدايات** (١٥٩١ – ١٦٣١م).

ج . **عهد البايات** (١٦٣١ – ١٧٠٥م).

د . **الأسرة الحسينية** (فحكمت هذه الأسرة تونس التي أسسها حسين (آغا السباهية) بن علي حتى

عام ١٩٥٧م وشهدت ولاية تونس في عهد هذه الأسر إصلاحات إدارية وتنظيمية (إصلاحات أحمد باي ١٨٣٧ – ١٨٥٥م) ووضع الدستور في عهد محمد صادق باي (١٨٥٩ – ١٨٨٢م) لكن إصلاحاته كانت فوقية فأسهمت في ازدياد النفوذ الأجنبي ووقوع تونس بأيدٍ فرنسية.

٣. ليبيا : أيضاً مرت بأربع مراحل إدارية وهي:

١. **مرحلة البكلربكي** ١٥٥١– ١٦٠٣م. وتعد هذه المرحلة من أكثر المراحل هدوءاً واستقراراً.

٢. **مرحلة الدايات** (١٦٠٣ – ١٧١١م) ازداد نفوذ العساكر في هذه المرحلة.

٣. **مرحلة الأسرة القرمنلية** (١٧١١ – ١٨٣٥م) ويعود تأسيس هذه الأسرة إلى أحمد باشا القرمانلي واستمرت حتى عام ١٨٣٥م.

٤ـ **مرحلة الباشوات:** تميزت هذه المرحلة بالمركزية الشديدة والربط المباشر للولاية مع مركز السلطنة وبقيت هكذا حتى سيطر الطليان على ليبيا ١٩١١م.